SANKORE'

Institute of Islamic - African Studies International

www.siiasi.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلّى اللّهُ عَلَي سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيما

كِتَابُ الإِيْمَانِ[1]

مَا جَاءَ فِيمَا يُحكَمُ بِهِ إِسْلاَمُ الْعَبْدِ وَإِيمَانُهُ فِي الدُّنْيَا[2] وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِي عَنِ إِبْنِ عُمَرَ[3] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ

---

[1] فأصل الإيمان مصدر من آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن، هو ضد الكفر أو معناه التصديق ضد التكذيب، قال الزجاج: الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبيّ صلى الله عليه وسلم واعتقاده وتصديقه بالقلب، قال السيخ في مرآة الطلاب: "فَالإِيمَانُ فِي اللُّغَةِ التَّصْدِيقُ وَفِي الشَّرْعِيِّ تَصْدِيقُ اَلْقَلْبِ بِكُلِّ مَا عُلِمَ بِالضَّرُورَةِ مَجِيءَ الرَّسُولِ بِهِ دُونَ الأُمُورِ الإِجْتِهَادِيَّةِ"، والإيمان هو أصول الدين المعروف بالتوحيد أو العقيدة كما بيّنه الشيخ رحمة الله عليه في عمدة العلماء، ويحتمل إن معنى قوله: "تصديق القلب" أن الإيمان كله تصديق بالقلب بلا إقرار ولا عمل، لكن حقيقة الإيمان هي تصديق القلب بكل ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإقرار باللسان وعمل بالأركان قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، فروى أبو عمرو بن حمدان عن علي بن أبي طالب قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الإيمان ما هو قال: ((معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان)).

[2] أي كيفية حكم صحة الإسلام للمرء في الدنيا وكفاية إيمانه فيه، فقال الشيخ رحمة الله عليه في ترويح الأمة: "قد انعقد إجماع أهل السنة رضي الله عنهم على إن الإيمان الكافي في الدنيا هو الإقرار بالشهادتين فقط، فمن أقر بهما جرت عليه الأحكام الإسلامية في الدين ما لم يظهر منه كفر قولي كإنكار ما عُلِمَ مجيء الرسول به ضرورة أو فعلي كالسجود للصنم مثلا، قاله عبد السلام بن إبراهيم اللقاني في شرح جوهرة التوحيد"، أقول أن الإقرار بالشهادتين يكفي ولكن قرنه بسائر الأركان الخمسة أي الصلاة والزكاة كما يأتي في الحديث.

[3] هو أبو عبد الرحمان عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن قرط بن رزاح بن عديّ القرشي العدوي المكي ثم المدني، شيخ الإسلام، أسلم وهو صغير، كان نحو من سبع سنين، وهو ممن بايع تحت الشجرة، وشهد أحدا، وشهد فتح المكة وهو عشرون سنة، فروى علما كثيرا نافعا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال محمد الباقر بن علي بن الحسين: "كان إبن عمر إذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لا يزيد ولا ينقص ولم يكن أحد في ذلك مثله"، روى عن مالك عمن حدّثه: "أن إبن عمر كان يتّبع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثاره وحاله ويهتمّ به حتّى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك"، وروى أيضا عن أبيه وأبي بكر وعثمان وعلي وبلال وصهيب وعامر بن ربيعة وأبو سعيد الخدري وزيد بن

إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولَ اللَّهِ وَيُقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَيُوتُواْ الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُواْ ذَلِكَ عَصَمُواْ مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُم إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)).[4]

ثابت وزيد بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعائشة وغيرهم، وقالت عائشة فيه: "ما رأيت أحدا ألزم للأمر الأوّل من إبن عمر"، وقال إبن المسيب: "لو شهدتُ لأحد أنّه من أهل الجنّة لشهدتُ لإبن عمر"، وقال طاووس: "ما رأيتُ أورع من إبن عمر"، وروى عنه خلق كثير: منهم أولاده: سالم وعبيد الله وحمزة وزيد وعبد الله، ومولاه نافع وأبو جعفر محمد الباقر والحسن البصري وإبن شهاب الزهري والقاسم بن محمد ومحمد بن سيرين، وخلق كثير سواهم، فمات بمكة سنة أربع وسبعين وهو إبن أربع وثمانين، رضي اللّه عنهما.

[4] فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أُمِرْتُ))، أي أمرني اللّه، لأنه لا آمر لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم إلّا اللّه، وقياسه في الصّحابي إذا قال أُمِرْتُ فالمعنى أَمَرَنِي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، ولا يحتمل أن يريد صحابي آخر لأنهم من حيث أنهم مجتهدون لا يحتجون بأمر مجتهد آخر، وإذا قاله التّابعي احتمل، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ))، لنصر كلمة اللّه وإذعان المخالفين، فيحصل في بعض بالقتل وفي بعض بالجزية وفي بعض بالمعاهدة أو الصلح، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((حتَّى يَشْهَدُواْ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولَ اللَّهِ وَيُقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَيُوتُواْ الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُواْ ذَلِكَ عَصَمُواْ مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُم إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ))، فمقتضاه أن من شهد بشهادتين وأقام الصلاة وآتى الزكاة عصم دمّه ولو جحد باقي الأحكام، والجواب أن الشّهادة بالرّسالة تتضمن التّصديق بما جاء به، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ))، أي أمر سرائرهم، وفيه دليل على قبول الأعمال الظّاهرة والحكم بما يقتضيه الظّاهر، ويؤخذ منه ترك تكفيرأهل البدع المقرين بالتّوحيد المتلزمين للشّرائع، وقبول توبة الكافر من كفره من غير تفصيل بين كفر ظاهر أو باطن.

وَفِيهِ أَيْضًا[5] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ[6] قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ)).[7]

[5] أي في صحيح البخاري أيضا أو في ما جاء فيما يحكم به إسلام العبد وإيمانه في الدنيا.

[6] وهو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، الإمام المفتي المقري المحدث راوية الإسلام، كان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرابته من النساء وتلميذه وتبعه وآخر أصحابه موتاً، فصحب أنس نبيّه صلى الله عليه وسلم أتم الصحبة ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر وإلى أن مات، وبايع تحت الشجرة، وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام يخدمه، فمات سنة ثلاث وتسعين، وبلغ مائة سبع سنين، ومسنده ألفان ومائتان وستة وثمانون، واتّفق له البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثاً، وانفرد البخاري بثمانين حديثاً ومسلم بتسعين.

[7] فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا)) أي من صلى بالصلاة التي صليتُ بها أو بالصلاة التي صلوا بها أصحابي وأهل ملتي، فهذا دليل على جواز إتباع إختلاف المجتهدين من الصحابة وغيرهم من الأمة في صلاة، فإن كان غير ذلك يقال عليه الصلاة والسلام: "من صلى صلاتي"، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا)) أي من يتوجه الكعبة في المكة من أي جهة كان كما قال تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا))، أي كل ما أنهر الدم وفرى الأوداج من حديد أو صخر أو عود أو قضيب أن التذكية به المسلم أو أهل الكتاب، فهي ذبيحة جائزة عندنا، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَذَلِكَ المُسْلِمُ)) اي من صلى صلاة المسلمين ويستقبل قبلة المسلمين ويأكل ذبيحة المسلمين فهو دليل بيّن وحجة واضحة وحكم ظاهر على أنه المسلم، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ))، أي أمانتهما وعهدهما، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَلاَ تُخْفِرُواْ اللَّهَ))، أي لا تغدروا، يقال أخفرت إذا غدرت، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فِي ذِمَّتِهِ))، وفيه أن أمور النّاس محمولة على الظّاهر، فمن أظهر شعار الدّين أجريت عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك، قال الشيخ رحمة الله عليه في ترويج الأمة: "قال الشيخ السنوسي في شرح الوسطى: ليس لنا أن نسيء الظن بإيمان أحد عاميا كان أو غيره، اللهم إلا أن يظهر على لسان امرء ما يدل على ما كَمِنَ في ضميره من العقد الفاسد، فالواجب حينئذ أن يتلطف في تعليمه ومعاناة دالة بما أمكن".

وفيه[8] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَيْضًا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: ((أُمِرْتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى قَالُواْ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلُّواْ صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلُواْ قِبْلَتنَا[9] وَذَبَحُواْ ذَبِيحَتَنَا فقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنا دِماؤُهُم وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا)).[10]

[8] أي في صحيح البخاري أيضا أو في ما جاء فيما يحكم به إسلام العبد وإيمانه في الدنيا.

[9] هنا انتهى ورقة 4.

[10] فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أُمِرْتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى قَالُواْ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ))، أي اقتصر عليها ولم يذكر الرسالة وهي مرادة كما تقول: "قَرَأْتُ اَلْحَمْدَ" وتريد السورة كلها، وقيل أول الحديث ورد في حق من جحد التوحيد، فإذا أقر به صار كالموحد من أهل الكتاب يحتاج إلى الإيمان بما جاء به الرسول، فلهذا عطف الأفعال المذكورة عليها، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَإِذَا قَالُوهَا)) أي إقرار بالكلمة المشرفة، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَصَلُّواْ صَلَاتَنَا))، والصلاة الشرعية متضمنة للشهادة بالرسالة، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَاسْتَقْبَلُواْ قِبْلَتَنَا وَذَبَحُواْ ذَبِيحَتَنَا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنا دِماؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا))، وحكمة الاقتصار على ما ذكر من الأفعال أن من يقر بالتوحيد من أهل الكتاب وإن صلوا واستقبلوا وذبحوا لكنهم لا يصلون مثل صلاتنا ولا يستقبلون قبلتنا، خرج من الآمان المذكور، فمنهم من يذبح لغير الله، ومنهم من لا يأكل ذبيحتنا، ولهذا قال في الرواية المقدمة: ((وأكل ذبيحتنا))، فالاطلاع على حال المرء في صلاته وأكله يمكن بسرعة في أول يوم، بخلاف غير ذلك من أمور الدين، فمن الحديث نعرف أن حكم إسلام العباد بظواهرهم لا بما ستر في قلوبهم.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ[11] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلاَ شُقَّ بُطُونَهُمْ)).[12]

[11] وهو أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وعمر وطائفة من الصحابة، وروى حنظلة بن أبي سفيان عن أشياخه: "أنّه لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من أبي سعيد الخدري"، وحدث عنه إبنه عبد الرحمن وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك ونافع ومحمد الباقر بن علي والحسن البصري وعطاء بن يسار وسعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي وسعيد بن جبير وخلق كثير، وكان أحد الفقهاء المجتهدين، وله ألف حديث ومائة وسبعين حديثاً، ففي البخاري ومسلم ثلاثة وأربعون، وانفرد البخاري بستة عشر حديثاً ومسلم باثنين وخمسين، ومات سنة أربع وسبعين.

[12] فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ))، فأصل نقب فتش وبحث أي لا أُمِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وغيره من أمته أن يفتش ويبحث في قلوب الناس، كأنه قال إنما أمرت أن آخذ بظواهر أمورهم، ((وَلاَ شُقَّ بُطُونَهُمْ))، فمعنى "شُقّ" هنا فلع ومزّق ما في صدورهم أو في قلوبهم، فبطونهم جمع البطن وهو خلاف الظهر وهو كناي عن سرائرهم وما في صدورهم، وفي هذا الحديث رد على الذين يزعمون أنهم على منهج السلف الصالح ومع ذلك يفتش ويبحث في عقائد العوام وينكرونهم بذلك، وكل العلماء أجمعوا على أن أحكام الدنيا على الظاهر والله يتولى السرائر وقد قال صلى الله عليه وسلم لأسامة إذا قتل رجلا من المشركين الذي نطق بالشهادة وزعم أن الرجل قالها متعوذا: ((هلا شققت عن قلبه فنظرت أصادق هو أم كاذب؟))، فذلك دليل على أن الحكم إنما يجري على الظاهر وأن السرائر موكولة إلى الله تعالى، وفي الحديث حاجز عن بروز ديوان التفتيش في قلوب الناس، وإن يظهر الإستجواب في قلوب الناس فأنه ليس من السنة والدين القائم، بل هو بدعة شيطانية محرمة.

مَا جَاءَ فِي أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ[13] وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِي عَن إِبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَقُولُ: ((بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَدَةُ أَن لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللَّهِ وَأَقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَالْحَجُّ وَصَوْمُ رَمَضَانَ)).[14]

---

[13] أركان جمع رُكْن من ركن إلى الشيء أي مال إليه وسكن، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أي لا مالوا إليهم ولا اطمئنوا إليهم، فأركان الشيء جوانبه التي يشتد إليها ويقوم بها، فأركان الإسلام جوانب الإسلام التي يقوم بها الفروع الطاهرة.

[14] فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((بُنِيَ))، بالبناء للمفعول أي أُسِسَ، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((الإِسْلاَمُ))، أي فروع الدين الظاهرة، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((عَلَى خَمْسٍ))، أي: دعائم، وصرح به عبد الرزاق في روايته، وفي رواية لمسلم: "على خمسة"، أي أركان أو قواعد، وهي: ((شَهَدَةُ))، تصديق بالقلب وإقرار باللسان، ((أَن لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللَّهِ))، وفي رواية: "إيمان بالله ورسوله"، وهو الإقرار بالتوحيد والرسالة، ومندرج في الإقرار بالرسالة تصديق بكل ما جاء به من أمور السمعيات، فالأربعة المذكورة بعد الشهادة مبنية عليها، إذ لا يصح شيء منها إلا بعد وجودها، ومثاله البيت يجعل على خمسة أعمدة أحدها أوسط والبقية أركان، فما دام الأوسط قائما فمسمى البيت موجود ولو سقط مهما سقط من الأركان، فإذا سقط الأوسط سقط مسمى البيت، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَأَقَامُ الصَّلَوةِ))، أصله إقامة، فالمراد بإقام الصلاة: المداومة عليها أو مطلق الإتيان بها بشروطها وفرائضها وأركانه، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ))، أي إعطائها أهلها، والمراد بإيتاء الزكاة: إخراج جزء من المال على وجه مخصوص للناس المخصوص، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَالْحَجُّ)) أي إلى بيت الله في المكة، وفي رواية: "وحج البيت" أي الكعبة في المكة، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَصَوْمُ رَمَضَانَ))، أي إمساك عن المَطْعَم والمَشْرَب والمَنْكَح طول النهار في شهر رمضان، وقع هنا تقديم الحج على الصوم، وعليه بنى البخاري ترتيبه، لكن وقع في مسلم من رواية سعد بن عبيدة عن ابن عمر بتقديم الصوم على الحج، فقال ابن عمر: "لا، صيام رمضان والحج، هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم".

مَا جَاءَ فِي أَصْلِ الإِيْمَانِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ بِهِ الْعَبْدُ السَّلاَمَةَ مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ وَدُخُولَ الْجَنَّةِ[15] وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِي عَن عِتْبَانِ بْنِ مَالِكٍ[16] قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللَّهَ قَدْ حُرِّمَ عَلَى النَّارِ أَيْ نَارِ الْخُلُودِ مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ)).[17]

---

[15] قال الشيخ رحمة الله عليه في ترويح الأمة: "قال الشيخ السنوسي في نور السعادة شرح أم البراهين: أنه نزاع في ثبوت الإلوهية لمولانا جل وعز لجميع العقلاء، وإنما كفر بزيادة إله أخر، فنفي نا عداه تعالى من الإلهية هو المحتاج إليه وبه يحصل التوحيد فتأمله"، وقال فيه أيضا: "أنه سئل الشيخ محمد بن يوسف السنوسي كما نقله سيدي ميارة في الدر الثمين والمورد المعين في شرح مرشد المعين على الضروري من اصول الدين: هل يشترط في الإيمان الذي يستحق العبد بدخول الجنة أن يعرف معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله على التفصيل الذي ذكره في العقيدة الصغرى أم لا؟ فأجاب بأن ذلك لا يشترط إلا في كمال الأيمان وإنما يشترط في الصحة معرفة المعنى على وجه يتضمن التفصيل، ثم قال: ولا شك إن الغالب من المؤمنين عامتهم وخاصتهم معرفة ذلك إذ كل أحد يعرف إن الله هو الخالق وليس بمخلوق والرازق وليس بمرزوق، وذلك معنى غناه جل وعز عن كل ما سواه وافتقار كل ما سواه إليه ويعرفون أن الله لا يصلى إلا له ولا يصوم إلا له ولا يحج إلا له ولا معبود سواه وهذا معنى قولهم إن الله هو المستحق للعبادة ولا يستحقها سواه".

[16] وهو عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي السالمي بدري عند الجمهور ولم يذكره بن إسحاق فيهم وحديثه في الصحيحين من طريق أنس ومحمود بن الربيع وغيرهما عنه وأنه كان إمام قومه بني سالم ذكر بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين عمر مات في خلافة معاوية وقد كبر.

[17] فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ اللَّهَ قَدْ حُرِّمَ عَلَى النَّارِ أَيْ نَارِ الْخُلُودِ مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ)) أي لا شيء في السموات والأرض أهم إلي الله تعالى من الكلمة المشرفة اي شهادة التوحيد، لذلك أوجبها للمرء في بداية إسلامه وعند وفاته، وهي مندوبة للعوام والخواص طول حياتهم في حذف ذنوبهم وإرفع درجاتهم مع الله وتنوير قلوبهم بمعارفته، فكلمة السهادة مرافعة العباد عند ربهم يوم القايمة كما رواه التِّرْمِذِي عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِى عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سجِلاًّ، كُلُّ سجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِى الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِى كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِى كَفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَىْءٌ))، أي لا يقاومه شيء من المعاصي بل يترجح كلمة الشهادة على جمع المعاصي، أن ظاهر عبارة الحديث: ((إن الله حرم على النار)) ألخ أن لا يدخل أحد من عصاة الموحدين النار، ولكنه مخالف لآيات كثيرة وأحاديث شهيرة منها أحاديث الشفاعة منها قوله عليه الصلاة والسلام كما رواه الترمذي عن جابر بن عبد الله: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ومن لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعتي))، لكن الجمع ممكن بأن يحمل التحريم على الخلود.

وَفِيهِ أَيْضًا[18] عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمُعَاذٍ[19] وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ: ((يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ)) قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا قَالَ: ((مَا مِن أَحَدٍ يَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا مِن قَلْبِهِ[20] إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ)) أَيْ نَارِ الْخُلُودِ.[21]

---

[18] أي في صحيح البخاري أيضا أو في ما جاء في أصل الإيمان الذي يستحق به العبد السلامة من الخلود في النار ودخول الجنة.

[19] وهو السيد الإمام أبو عبد الرحمان معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عديّ بن كعب بن عمرو بن أُديّ بن سعد بن علي بن أسد الأنصاري الخزرجي المدني البدري، أسلم معاذ وله ثمان عشرة سنة، وكان طويلا حسنا جميلا، شهد العقبة، شهد بدرًا وهو عشرون سنة، وهو ممن جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عليه الصلاة والسلام فيه: ((معاذ بن جبل أعلم الناس بحرام الله وحلاله))، وروى الشيباني عن محمد الثقفي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يجيءُ معاذ يوم القيامة أمام العلماء بين يدي العلماء))، وروى عنه عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وأبو أمامة وأبو مسلم الخولانيّ ومسروق العبسي وآخرون، روى الروياني في مسنده عن الحارث بن عمرو الثقفيّ قال: أخبرنا أصحابنا عن معاذ قال: "لما يعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال لي: ((كَيفَ تَقْضِي إِنْ عَرَضَ قَضَاءٌ؟))، قال: "أقضي بما في كتاب الله، فإن لم يكن، فبما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم"، قال: ((فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا قَضَى بِهِ الرَّسُوْلُ؟))، قال: "أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلاَ آلُو"، فضرب صدري وقال: ((الحَمْدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُوْلَ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا يُرْضِي رَسُوْلَ اللهِ))، مات سنة ثمان عشرة وهو ثلاث وثلاثين سنة.

[20] هنا انتهى ورقة 5.

[21] فمعنى قول معاذ: "قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ" اللَّبُّ بفتح اللام معناه هنا الإجابة، فأصله من لبّ بالمكان لبّا أي أقام به ولزمه، فمعنى قول معاذ: "لبيك" أنا لزوما لطاعتك أو أنا مقيم على طاعتك إقامة بعد إقامة، أو إجابة لك بعد إجابة، ومعنى السعد المساعدة، كأنه قال لبا لك وإسعادا لك، ولكنهما ثنيا على معنى التأكيد والتكثير، أي إجابة بعد وقيل في أصل لبيك واشتقاقها غير ذلك، وسنوضحه في كتاب الحج إن شاء الله تعالى، وقاله معاذ ثلاثا، أي النداء والإجابة قيلا ثلاثا، وصرح بذلك في رواية مسلم، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مَا مِن أَحَدٍ يَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا))، فيه احتراز عن شهادة المنافق التي صدر من لسانه بلا إخلاص ولا إيمان في صدره، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مِن قَلْبِهِ))، أي من تصديق قلبه فيمكن أن يتعلق بعبارة "صادقا" أي يشهد بلفظه ويصدق بقلبه، ويمكن أن يتعلق بعبارة "يشهد" أي يشهد بقلبه، والأول أولى، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ))، دلت الأدلة القطعية عند أهل السنة على أن طائفة من عصاة المؤمنين يعذبون ثم يخرجون من النار بالشفاعة، فلذلك فسره بقوله: "أي نار الخلود" كما صرح بذلك الشيخ في تنبيح الأمة على قرب هجوم اشراط الساعة، فورد فيه الحديث ما روى الحاكم والترمذي في نوادر الأمور عن إبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها، فمنهم في الباب الأول من جهنم لا تسود وجوهم ولا تزرق أعينهم ولا يغلون بالأغلال ولا يقرنون مع الشياطين ولا يضربون

وفِيهِ أَيْضًا[22] إنَّهُ علَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلَامُ قَالَ لِمُعَاذٍ: ((مَن لَّقِيَ اللَّهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ)).[23]

بالمقامع ولا يصرخون في الأدراك، منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج، وأطولهم مكثا فيها مثل الدنيا يوم خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة، ثم إن الله إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف في قلوب أهل الأديان فقالوا لهم: كنا نحن وأنتم جميعا في الدنيا فآمنتم وكفرنا وصدقتم وكذبنا وأقررتم وجحدنا فما أغنى ذلك عنكم! نحن وأنتم اليوم فيها جميعا سواء تعذبون كما نعذب وتخلدون كما نخلد، فيغضب الله عند ذلك غضبا لم يغضبه من شيء فيما مضى ولا يغضب من شيء فيما بقى فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنة والصراط يقال لها "نهر الحياة"، فيرش عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل،...يدخلون الجنة يكتب في جباههم: "عتقاء الله من النار"، إلا رجلا واحدا فإنه يمكث فيها بعدهم ألف سنة ثم ينادي: "يا حنان يا منان!" فيبعث الله إليه ملكا ليخرجه فيخوض في النار في طلبه سبعين عاما لا يقدر عليه ثم يرجع فيقول: "إنك أمرتني أن أخرج عبدك فلانا من النار وإني طلبته منذ سبعين سنة فلم أقدر عليه!" فيقول الله تعالى: "انطلق فهو في وادي كذا وكذا تحت صخرة"، فأخرجه، فيخرجه منها فيدخله الجنة)).

[22] أي في صحيح البخاري أيضا أو في ما جاء في أصل الإيمان الذي يستحق به العبد السلامة من الخلود في النار ودخول الجنة، فقد رود هذا الحديث عن مسدد عن معتمر بن سليمان التيمي عن سليمان التيمي عن أنس بن مالك، فقال: ذُكِرَ لِي، هو بالضم على البناء لما لم يسم فاعله، ولم يسم أنس من ذكر له ذلك في جميع ما وقفت عليه من الطرق، لأن معاذا إنما حدث به عند موته بالشام، وجابر وأنس إذ ذاك بالمدينة فلم يشهداه، وقد حضر ذلك من معاذ عمرو بن ميمون الأودي أحد المخضرمين، فممكن سمع ذلك منه.

[23] فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مَن لَّقِيَ اللَّهَ))، أي من لقي الأجل الذي قدره الله يعني الموت، كذا قاله جماعة، ويحتمل أن يكون المراد البعث أو رؤية الله تعالى في الآخرة، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)) أي من مات وكونه موحدا حين وفاته، أو من جعل آخر قوله قبل وفاته كلمة الإخلاص، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((دَخَلَ الجَنَّةَ)) اقتصر على نفي الإشراك لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء، ويستدعي إثبات الرسالة باللزوم، إذ من كذب رسول الله فقد كذب الله ومن كذب الله فهو مشرك، أو هو مثل قول القائل: "من توضأ صحت صلاته"، أي مع سائر الشرائط، فالمراد من مات حال كونه مؤمنا بجميع ما يجب الإيمان به فدخل الجنة، فالمراد به أنه يؤمن بالله وحده ولا يشرك به شيئا ومع ذلك يتوب من جميع ذنوب بينه وبين ربّه وبينه وبين خلقه.

وَفِيهِ أَيْضًا[24] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[25] أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟[26] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَّا يَسْئَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشِفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِّنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ)).[27]

---

[24] أي في صحيح البخاري أيضا أو في ما جاء في أصل الإيمان الذي يستحق به العبد السلامة من الخلود في النار ودخول الجنة.

[25] وهو أبو هريرة أبو الأسود عبد الرحمان بن صخر الدّوسي اليمانيّ، الإمام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الحفاظ الأثبات، فشهد خيبر مع النبيّ صلى الله عليه وسلم، فصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنين، وكان أحفظ الصحابة كما قال الشافعي: "أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره"، كما صرح بذلك في هذا الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام: ((لِمَا رَأَيْتُ مِن حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ))، فمات أبو هريرة سنة تسع وخمسين وله ثمان وسبعون سنة.

[26] ومعنى قول أبي هريرة رضي الله عنه: "مَن أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟"، فأسعد من أفعل وهو اليمن خلاف الشقاوة، فأهل السعادة هم المواحدون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين لا يشرك بالله شيئاً، وإن كانوا من أهل الكبائر المذنبين، فهم من السعداء لأن يخرجون من النار بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وأما المشرك والمنافق لا سعادة لهما، فمعنى سؤال أبي هريرة يدل على أن أمر الشفاعة معلوم عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه صلى الله عليه وسلم يشفع في الخلق لإراحتهم من هول الموقف، ويشفع في بعض الكفار، بتخفيف العذاب كما صح في حق أبي طالب، ويشفع في بعض المؤمنين بالخروج من النار بعد أن دخلوها، وفي بعضهم بعدم دخولها بعد أن استوجبوا دخولها، وفي بعضهم بدخول الجنة بغير حساب، وفي بعضهم برفع الدرجات فيها.

[27] فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَّا يَسْئَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِن حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ))، وفي قوله عليه الصلاة والسلام إشارة إلى فضل أبي هريرة في علم الحديث كما ذكرنا، وفضل الحرص على تحصيل العلم، قال المهلب: "فيه أن الحريص على الخير والعلم يبلغ بحرصه إلى أن يسأل عن غامض المسائل، ودقيق المعانى، لأن المسائل الظاهرة إلى الناس كافة يستوى الناس فى السؤال عنها، لاعتراضها فى أفكارهم، وما غمض من المسائل، ولطف من المعانى، لا يسئل عنها إلا راسخ بَحَّاث، يبعثُه على ذلك الحرص، فيكون ذلك سببًا إلى إثارة فائدة يكون له أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة"، ولذا قال العلماء: "حسن السؤال نصف العلم"، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أَسْعَدُ النَّاسِ بِشِفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ))، احتراز من المشرك، والمراد مع قوله محمد رسول الله، لكن قد يكتفى بالجزء الأول من كلمتي الشهادة لأنه صار شعارا لمجموعهما كما تقدم في الإيمان، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((خَالِصًا))، وفي رواية: ((مخلصا)) فهو من الإخلاص، احتراز من المنافق الذي نطق بالشهادة بلسانه فقط بلا إيمان في صدره، قال الشيخ في طريق الجنة: "فَاعْلَمْ أَنَّ الإِخْلَاصَ إِخْلَاصَانِ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ، وَإِخْلَاصُ طَلَبِ الأَخِرَةِ. فَأَمَّا إِخْلَاصُ الْعَمَلِ فَهُوَ إِرَادَةِ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا إِخْلَاصُ طَلَبِ الأَخِرَةِ فَهُوَ إِرَادَةِ نَفْعِ الأَخِرَةِ بِعَمَلِ الْخَيْرِ، قَالَ الْفُضَيْلُ: الإِخْلَاصُ دَوَامُ الْمُرَاقَبَةِ وَنِسْيَانُ الْحُظُوظِ كُلِّهَا، وَهَذَا هُوَ الْبَيَانُ الْكَامِلُ، وَضِدُّ الإِخْلَاصِ الرِّيَاءُ وَهُوَ إِرَادَةُ نَفْعِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الأَخِرَةِ، ثُمَّ الرِّيَاءُ ضَرْبَانِ: رِيَاءٌ مَّحْضٌ،

مَا جَاءَ فِي أَرْكَانِ اَلإيمَانِ[28] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حِينَ سَأَلَهُ جِبْرِيلُ عَنِ الإِيمَانِ:[29] ((أَن تُؤمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤمِنُ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)).[30]

وَرِيَاءُ تَخْلِيطٍ، وَالْمَحْضُ إِرَادَةُ نَفعِ الدُّنْيَا لاَ غيْرُ، وَالتَّخْلِيطُ إِرَادَةُ نَفعِ الدُّنْيَا وَالأَخِرَةِ"، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مِّن قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ)) شك من الراوي، وللمصنف في الرقاق: "خالصا من قبل نفسه"، وذكر ذلك على سبيل التأكيد كما في قوله تعالى: ﴿فإنه آثم قلبه﴾، هذا لأن معدن الإخلاصِ القلبُ، وفي الحديث دليل على اشتراط النطق بكلمتي الشهادة لتعبيره بالقول.

28 فأركان الإيمان هي جوانب الإيمان التي يقوم بها وقواعدها التي يقوي بها.

29 أي أشارة به إلى الحديث المذكور في مقدمة الكتاب رواه البخاري عن أبي هريرة ومسلم عن عمر بن الخطاب حين قال جبريل: "فأخبرني عن الإيمان" كما في رواية مسلم، وفي رواية البخاري: قال جبريل: "يا رسول الله ما الإيمان؟".

30 فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أَن تُؤمِنَ بِاللَّهِ))، والإيمان بالله هو التصديق بوجوده وأنه متصف بصفات الكمال، منزه عن صفات النقص، وبيّن الشيخ عبد الله بن فودي الإيمان بالله في تقريب الضروري الدين بقوله: "واعتقد انّ الله موجود لا أول له ولا أخر له، ليس كمثله شيء، ليس بجرم ولا في جهة غنيّ عن المحل والفاعل، واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لا فعل لشيء من الخلق لا تحرق نار، ولا يشبع طعام، ولا يقطع سكين، فالكلّ فعل الله يفعله عندها لا بها، القادر على كل ممكن الذي لا يكون إلا ما أراد الذي لا يجهل كلّ شيء، الحيّ الذي لا يموت، السميع بكلّ موجود لا بأذن، البصير بكلّ موجود لا بحدقة، المتكلم لا بلسان ولا صوت، الذي لا يجب عليه فعل كل شيء، فالثواب من فضله والعقاب بعدله"، وكل ذلك يثبت بالكتاب والسنة كما بينه الشيخ في كتبه مثل عمدة المتعبدين والمحترفين وعمدة العلماء ومرآة الطلاب وإحياء االسنة وإخماد البدعة وغيرها، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَمَلَائِكَتِهِ))، الإيمان بالملائكة هو التصديق بوجودهم وأنهم كما وصفهم الله تعالى: ﴿عباد مكرمون﴾، وهم نورانيون روحانيون ليس بذكر ولا أنتى لا يأكلون ولا يشربون ولا يناكحون، وقدم الملائكة على الكتب والرسل نظرا للترتيب الواقع، لأنه سبحانه وتعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسول، وليس فيه متمسك لمن فضّل الملك على الرسول، ولكن فيه يختلف العلماء في التفاضل بين جنس الملك وجنس الإنس فذهب بعض أهل السنة والفلاسفة أن جنس الملك أفضل من جنس الإنس باعتبار الأصول العنصري، ولكن ذهب جمهور أهل السنة والصوفية إلى تفضيل النوع البشري باعتبار حقائق الإنسانية ومعانيه الروحانية وأخلاقه، كما بينه العارف بالله الشيخ عبد القادر بن مصطفى في التفاضل بين جنسى الملك والبشر فانظر إليه، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَكُتُبِهِ))، والإيمان بكتب الله التصديق بأنها كلام الله وأن ما تضمنته حق، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَرُسُلِهِ))، الإيمان بالرسل: التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله، ودل الإجمال في الملائكة والكتب والرسل على الاكتفاء بذلك في الإيمان بهم من غير تفصيل، إلا من ثبت تسميته فيجب الإيمان به على التعيين، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَالْيَوْمِ الآخِرِ))، فأنه قيل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة، والمراد بالإيمان به والتصديق بما يقع فيه من الحساب والميزان والجنة والنار وغير ذلك من أمور المغيبات والسمعيات، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَتُؤمِنُ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)) والمراد

مَا جَاءَ فِي زِيَادَةِ اَلإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ[31] وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِي عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِّن خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِّن خَيْرٍ وَيَخْرُجُ[32] مِنَ النَّارِ مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِّن خَيْرٍ))[33]، **وَفِي رِوَايَةٍ** عَنْهُ[34] عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مِنَ الإِيمَانِ)) مَكَانَ خَيْرٍ.[35]

أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته، هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية، وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين.

[31] فزيادة الإيمان ونقصانه في غير الأنبياء والملائكة ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وأما الكتاب قال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً﴾ وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾، وأما السنة فقد سأل إبن عمر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان يزيد وينقص؟" فقال عليه الصلاة والسلام: ((نعمْ، يَزِيدُ حتَّى يُدخلَ صاحِبَه الجنةَ، وينْقصُ حتى يُدْخِلَ صاحبةَ النارَ))، وأما الإجماع قال الشيخ إبراهيم بن اللقاني المالكي في جوهرة التوحيد: "وُرجِّحتْ زيَادَةُ الإيمانِ * بما تزيدُ طاعةُ الإنسانِ"، معناه رجح جماعة من العلماء إن الإيمان يزيد بسبب زيادة طاعة الإنسان وينقص الإيمان بسبب نقص طاعته، فلينقسم العلماء أمر زيادة الإيمان ونقصانه على ثلاثة أقسام: الأولى يزيد وينقص وهو إيمان الإنس والجن، فقد ذكرنا دلائله، والثاني لا يزيد ولا ينقص وهو إيمان الملائكة لأن إيمانهم جبلي بأصل الطبعية لا يتفاوت، فقد قال تعالى فيهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، فإذا ثبت أن ينقص الإيمان بسبب نقص الطاعة فلا ينقص إيمان الملائكة لأنهم لا يعصون قطا، وقال بعض العلماء كل ما لا يقبل النقص فلا يقبل الزيادة، ولكن اختلف بعض العلماء في ذلك كالشيخ عبد البر الأجهوري الذي قال أن إيمان الملائكة يزيد وينقص، فجعل إيمانهم في القسم الثالث وهو ما يزيد ولا ينقص وهو إيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ فمعنى سؤاله تعالى أولم يكفيك إيمانك؟ ومعنى جواب إبراهيم عليه السلام: بلى ولكن ليزداد لإيمان قلبي إيمانا، فذك الدليل على إن إيمان الأنبياء يزيد ولا ينقص.

[32] هنا انتهى ورقة 6.

[33] فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) أي الكلمة المشرفة التي لا يقبل العمال الصالحات قبلها ولا يخلد قائله في النار بعدها، فيه دليل على اشتراط النطق بالتوحيد، أو المراد بالقول هنا القول النفسي، فالمعنى: من أقر بالتوحيد وصدق، فالإقرار لا بد منه، فلهذا أعاده في كل مرة، كما ذكرنا لا أورد معه قول: "محمد رسول الله" لأن صار الجزء الأول منه علما للكل، وفيه لا يخرج أحدا من النار إلا بإذن الله تعالى، وفيه أنه لا يكفي في الإيمان معرفة القلب دون الإقرار باللسان ولا الإقرار من غير إعتقاد القلب، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ)) أي واحدة الشعير هي أقل الأشياء الموزونة، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مِّن خَيْرٍ)) المراد بالخير هنا الإيمان كما صرح به في الرواية الآخرى، فالخير في الحقيقة ما يقرب العبد إلى الله تعالى فلا خير أفضل من الإيمان، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِّن خَيْرٍ)) أي البرة بضم الباء

مَا جَاءَ فِي الإِحْسَانِ[36] وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِي وَمُسْلِمٍ عَن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ"، قَالَ: ((أَن تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِن لَّمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)).[37]

وتشديد الراء واحدة البر وهي القمح، وقال إبن دريد: "البر أفصح من قولهم القمح"، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِّن خَيْرٍ)) أي الذرة بفتح الذال وتشديد الراء الذر وهي أصغر النمل، قال القاضي عياض: "الذر النمل الصغير"، وقيل: أن الذر هي الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس مثل رؤس الإبر، ومقتضاه أن وزن البرة دون وزن الشعيرة لأنه قدم الشعيرة وتلاها بالبرة ثم الذرة، وكذلك هو في بعض البلاد، فذكر موازن الشعيرة والبرة والذرة لأنهم من الثمرات فلا نزاع في زيادة الثمرات ونقصانها فكذلك يدل على نقصان وزيادة الإيمان، وفيه دخول عصاة الموحدين النار الذين يعملون الكبائر ولا يتوبوا قبل الموت، .

[34] أي في رواية عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ البخاري نفسه، قَالَ أَبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عن أنس بن مالك.

[35] أي بيّن أن المراد بالخير الإيمان، فمعناه أنه لا يخلد في النار الذي في قلبه شيء من الإيمان، وقال أبو سعيد: "فمن شك فليقرأ: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾".

[36] أصل الإحسان من أحسن يحسن إحسانا، هو مصدر أحسن فمعناه خلاف القبح، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ فالإحسان يتعدى بنفسه وبغيره تقول: أحسنت كذا إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان، إذا أوصلت إليه النفع، والأول هو المراد لأن المقصود إتقان العبادة ومراعاة حق الله تعالى ومراقبته، أي إتقان العبادة إلى الله تعالى كأنك تراه وهو أعلى وإن لم تكن تراه فإتقان العبادة له لأنه يراك فهو أدنى الإحسان، نحو إحسان الوضوء مثلا لأنه الإتيان بالوضوء تاماً بصفته وآدابه وتكميل سننه، وكذلك في جميع العبادات، بل في المعاملات، فكل المعاملات نوع من العبادة إما الإحسان إلى الأقارب وإما إلى الأجانب وإما بالبدن وإما بالمال، فالإحسان مبالغة الإخلاص لله تعالى بالطاعة والمراقبة له في جميع المعاملات مع خلقه في كل شيء، في الحقيقة الإحسان هو أن تكون في جميع أحوالك كما كان النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأحوال، فلو لاه ما خلق الله تعالى آدم وسواه من خلقه، فمحمد صلى الله عليه وسلم المطلوب في يكوّن الكون لأنه تعالى ما خلق الإنس ولا الجان بل ما خلق الكائنات جميعها إلا ليعبدون أي ليعفرفون، فلا شيء في الخلق يعبد الله تعالى ويعرفه كما يعبده ويعرفه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفهو كما قال سلطان العلماء سيدي الشيخ محمد بن الحبيب المكنسي: "أول الأنوار فاضات من بحور عظمة الذات المتحقق في العالم البطون والظهور بمعانى الأسماء والصفات فهو أول حامد ومتعبد بأنواع العبادات القربات"، فلذلك قال سيدي أبو حمزة البغدادي رضي الله عنه: "لا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا بمتابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم، من إلتزم نفسه إلى أداب السنة ينوّر الله قلبه بأنوار المعارف، فلا الطريق أشرف من إتباع الحبيب صلى الله عليه وسلم في أوامره وأفعاله وأقواله وأخلاقه"، فمعنى الإحسان أن يكون عن معرفة ومراقبة إلى الله تعالى في جميع الأحوال أي ((أَن تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِن لَّمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))، هذا هو حقيقة التصوّف فلذلك قال الشيبان رضي الله تعالى عنه إذا سُئل عن التصوّف: "هو الإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم" فالتصوّف هو إلتزام بالسنة ظاهرا وباطنا

والتزام بالسنة في جميع الأحوال هو الإحسان، فكلمة الإحسان صار شعارا لعلم التصوّف كما بيّنه الشيخ رحمة الله عليه في عمدة العلماء حيث قال: "وَأَمَّا الفُرُوعُ البَاطِنَةُ فَهِيَ الإِحْسَانُ وَالْعِلْمُ المُصَحِّحُ لِلإِحْسَانِ وَالَّذِي هُوَ عِلْمُ الحَقِيقَةِ"، فالحقيقة هي علم الأسرار أي ما يتعلق بقلوب الناس وتطهيرها وما حصل لها من المعارف والمكاشفات والحقائق، قال الشيخ رحمة الله عليه في التفرقة بين علم التصوف الذي للتخلق وبين علم التصوف الذي للتحقق في مدار علم التصوّف للتخلّق: "هو تزكية الباطن بالأخلاق المحمودة فيه وتطهيره من الأوصاف المذمومة" وقال فيه أيضا في مدار علم التصوّف للتحقّق: "وأمّا التصوّف الذي للتحقّق فهو المعارف والأحوال وهي أمور خاصة للمخصوصين"، وقال بيانا لذلك في كتابه فتح البصائر حيث قال: "وأما علم التصوّف فهو أيضا ينقسم على قسمين: القسم الأول ما يتعلق بالتخلّق وهو التخلي من كل صفة المذمومة من القلب كالعجب والكبر والعضب بالباطل والحسد والبحل والرياء وحب الجاه وحب المال للتفخّر والأمل وسوء الظن بالمسلمين، وتحلي القلب بكل صفة المحمودة كالتوبة والإخلاص والتقوى والصبر والزهد والتوكّل والتفويض والرضى والخوف والرجاء، فهذا القسم من فروض العيان كما بيّنه الغزالي في إحياء علوم الدين وعبد الرحمن السيوطي في إتمام الدراية شرح النقاية، وأما القسم الثاني الذي هو التصوّف للتحقّق فهو: معرقة أحوال المريدين، ومعرفة مقامات الأولياء، ومغفرة تجليات الأفعال، ومعرفة تجليات الأسماء والصفات، ومعرفة تجليات الذات، فهذا القسم من فروض الكفياة، بل خاصة لللأولياء بلا شك!"، فلذلك قال بعض المحققين في هذا الشأن أن التصوّف للتحقّق يقتصر إلى المريدين والعارفين ولا بذله لغير أهله، ولكن قال إمام طائفة الصوفية الجنيد رحمه الله تعالى: "يبذل لأهله ولغير أهله"، فالإحسان من أشرف العلم بشرف ما يتعلّق به وهو القلب الذي هو اشرف الأعضاء بل هو الملك وسائر لأعضاء تبع له فإذا صلح صلحت وإذا فسد فسدت، وهو خزانة كل جوهر الإنسان كعقله وعلمه ولا ينظر الله إلى شيء من الإنسان إلا قلبه كما قال عليه السلام: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لاَ يَنظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))، ولا يقصد الشيطان والملك إلا إليه، فيقصد الملك إليه ليصلحه ويقصد الشيطان إليه ليفسده، فأشرف ما في الإنسان قلبه، فيشرّف علم الإحسان على سائر العلوم بشرف ما يتعلّق به وهو القلب، فلذلك قال إمام الطائفة الجنيد رحمه الله تعالى: "لو علمت أن لله عِلْماً تحت أديم السماء اشرفُ من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه".

37 فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أَن تَعْبُدَ اللَّهَ)) يحتمل أن يكون المراد بالعبادة معرفة الله، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((كَأَنَّكَ تَرَاهُ)) صفة مصدر محذوف أي عبادة كأنك فيها تراه أو حال أي والحال كأنك تراه، وقال الكرماني: "أي تعبد الله مشبها بمن يراه"، وقال العيني: "فالتقدير الإحسان عبادتك الله تعالى حال كونك في عبادتك مثل حال كونك رائياً"، وليس المقصود على تقدير الحالية أن ينتظر بالعبادة تلك الحال فلا يعبد قبل تلك الحال بل المقصود تحصيل تلك الحال في العبادة والحاصل أن الإحسان هو مراعاة الخشوع والخضوع وما في معناهما في العبادة على وجه راعاه لو كان رائيا ولا شك أنه لو كان رائيا حال العبادة لما ترك ما قدر عليه من الخشوع وغيره ولا منشأ لتلك المراعاة حال كونه رائيا إلا كونه تعالى رقيبا عالما مطلعا على حاله وهذا موجود وإن لم يكن العبد يراه تعالى، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَإِن لَّمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)) أي فإن لم تكن تراه فأحسن العبادة له فإنه براك وهو يكفي في مراعاة الخشوع بذلك الوجه فإن على هذا وصلية لا شرطية، وفيه دليل على أن رؤية الله تعالى في الدنيا بالأبصار غير واقعة، فرؤية النبي ربه عز وجل لم يكن في دار الدنيا، بل كانت في الملكوت العليا، والدنيا لا تطلق عليها، والدليل الصريح على عدم وقوع رؤية الله تعالى بالأبصار في الدنيا ما رواه مسلم من حديث أبي أمامة قال عليه

وَفِيهِمَا أَيْضًا[38] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا الإِحْسَانُ قَالَ: ((أَن تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّك تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)).[39]

السلام: ((وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ لَنْ تَرَواْ رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُواْ))، وأما الرؤية في الآخرة فمذهب أهل الحق أنها واقعة بالأبصار، وقد ادعى بعض غلات الصوفية جواز رؤية الله تعالى بالأبصار في دار الدنيا، فلا حقيقة في زعمهم، فالرؤية أهل العرفان لربّهم في هذا الدنيا لا بالأبصار ولكنها بالقلوب والأسرار في إرفع الحجب عن عوالم الملكوت وفي عالم الرؤية النومية، فمعنى إرتفع الحجب هنا إرتفاع الآفة المانعة من رؤيته التي لو فعل تعالى ضدها فيهم لرأوه، وقال القاضي عياض: "قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والحفظ من آفات الأعمال حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه"، فأقول إن مسئلة الإحسان مدار الأسرار لهذا الكتاب المبارك لأن جميع المعارف والمراقبات متشعبة من إتباع سنة النبي عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأتم التسليم.

[38] أي في صحيح البخاري وصحيح مسلم أيضا أو في ما جاء في الإحسان.

[39] وأشار في الجواب إلى حالتين: أرفعهما أن يغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه بعينه وهو قوله: "كأنك تراه"، أي: وهو يراك، والثانية: أن يستحضر أن الحق مطلع عليه يرى كل ما يعمل، وهو قوله: "فإنه يراك"، وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة الله وخشيته، وقد عبر في رواية عمارة بن القعقاع بقوله: "أن تخشى الله كأنك تراه"، وكذا في حديث أنس، وقال النووي: "معناه أنك إنما تراعى الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك، لكونه يراك لا لكونك تراه فهو دائما يراك، فأحسن عبادته وإن لم تره، فتقدير الحديث: فإن لم تكن تراه فاستمر على إحسان العبادة فإنه يراك، وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم، وقد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين، ليكون ذلك مانعا من التلبس بشيء من النقائص احتراما لهم واستحياء منهم، فكيف بمن لا يزال الله مطلعا عليه في سره وعلانيته؟"، فنعرف إن الإحسان على مقامين: الأول كما قال: ((أَن تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ)) ومقام الثاني قوله: ((فَإِن لَّمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))، قال عبد الجليل: الأول على ثلاثة أقسام: الأول في مقام الإسلام وذلك أن الأمور في عالم الحس ثلاثة: معاصي وطاعات ومباحات المعايش، فأما قسم المعاصي على اختلاف أنواعها، فإن العبد مأمور بأن يعلم أن الله يراه فإذا همّ بمعصية وعلم أن الله يراه ويبصره على أي حالة كانت وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور كف عن المعصية ورجع عنها، وأما الإنسان فيذهل عن نظر الله إليه فينسى حين المعصية أنه يراه، أو يكون جاهلا فيظن أن الله تعالى بعيد منه، ولا يتذكر ويعلم أنه يحرك جوارحه حين العمل المعمول فينسى ذلك، أو يجهل فيقع في المعصية، ولو علم وتحقق أن والده أو رجلا كبيرا لو يراه حين المعصية لكف عنها وهرب منها، فإذا علم العبد أن الله يراه في حين المعصية كف عنها بحصول البرهان الإحساني عنده، وهو البرهان عنده الذي أوتيه ورآه يوسف عليه السلام، وهو قيام الدليل الواضح العلمي بأن الله تعالى موجود حق وأنه ناظر إلى كل شيء ومصرف لكل شيء ومحركه ومسكنه، فمن أراه الله تعالى هذا البرهان عند جميع المهمات صرف عنه السوء والفحشاء من جميع المنكرات، الثاني قسم الطاعات فهي أن تعلم أن الله تعالى موجود وتبرهن عنده أنه يراه لا محالة إلا أن يكون زنديقا جاحدا لا يقر برب فإن كان مقر بوجوده فترك العبادة فإنما تركها تهاونا لنقصان البرهان الإحساني عنده وهذه حال المضيعين للفرائض لجهلهم بقدر إلا مرو قدر أمره، الثالث من المباحات وهو محل الغفلة والسهو عن هذا

SANKORE'

المقام الإحساني فإذا تذكر العبد أن الله تعالى يراه في تصريفه وأنه أره بالإقبال عليه وقلة الأعراض عنه استحي أن يراه مكبا على الخسيس الفاني مستغرقا في الاشتغال به عن ذكره وعن الإقبال على ما يقطع عنه، المقام الثاني في عالم الغيب فإن العبد إذ فكر في مواطن الآخرة من موت وقبر وحشر وعرض وحساب وغير ذلك، وعلم أنه معروض على الله تعالى في ذلك العالم ومواطنه تهيأ لذلك العرض فيتزين للآخرة بزينة أهل الآخرة ما استطاع، وأما المقام الثالث في الإحسان فإن العبد إذا علم في قلوب أوليائه فيزيل الصفات الممهلكات ويطهره منها ويتصف المحمودات حتى يجعل سره كالمرآة المجلة قوله ((كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَم تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))" انتهى كلام العارف عبد الجليل وهو نفيس.

هَذَا بَيَانُ حَقِيقَةِ الإِسْلاَمِ وَالإِيمَانِ وَالإِحْسَانِ مِنَ الشَّارِعِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَلَيْسَ بَعْدَ بَيَانِهِ بَيَانٌ وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ هَذِهِ الأَقْسَامَ الثَّلاَثَةَ هِيَ الدِّينُ جَمِيعُهُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْعِبَادَاتِ وَالدَّلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مُخَاطِبًا لِأَصْحَابِهِ: ((فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ لِيُعَلِّمَكُمْ دِينَكُمْ))،[40] بَعْدَ أَنْ سَأَلَهُ عَنْ حَقِيقَتِهَا وَفَسَّرَهَا كَمَا فِي لَفْظِ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ وَلَفْظُ رِوَايَةِ الْبُخَارِي: ((إِنَّ هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ))،[41] وَقَدْ ءَانَ شُرُوعُنَا فِي تَرْتِيبِ أَبْوَابِ أَعْمَالِ الإِسْلاَمِ نُرَتِّبُهَا كَمَا رَتَّبَهَا عُلَمَاءُ السُّنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.[42]

SANKORE'

---

[40] قال ابن المنير: في قوله: "يعلمكم دينكم"، دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علما وتعليما، لأن جبريل لم يصدر منه سوى السؤال، ومع ذلك فقد سماه معلما، وقد اشتهر قولهم: "حسن السؤال نصف العلم"، ويمكن أن يؤخذ من هذا الحديث لأن الفائدة فيه انبنت على السؤال والجواب معا، قال القرطبي: "هذا الحديث يصلح أن يقال له: أم السنة، لما تضمنه من جمل علم السنة".

[41] إشارة إلى الزيادة، فما تفرد إلا بالتصريح، وإسناد التعليم إلى جبريل مجازي، لأنه كان السبب في الجواب، فلذلك أمر بالأخذ عنه.

[42] ومعنى قوله: "اعمال الإسلام" اي الأعمال الظاهرة متعلق بالعبادات والفرائض كما متعلق باب الأيمان والأحسان بالقلوب، ومعنى قوله: "ترتبها كما رتبها علماء السنة رضي الله عنهم أجمعين" أي قد رتب كتبهم في الفقه على الترتيب المعروف وهي كتاب الطهارة وكتاب الحيض والإستحاضة وكتاب التيمم وكتاب الصلاة وما يتعلق بها وكتاب الزكاة وكتاب الصوم وكتاب الحج، اقتدائا الترتيب الذي رتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله كما في رواية مسلم عن ابن عمر: ((بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسَةٍ، عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ))، هنا انتهى كتاب الإيمان وبانتهائه انتهيت الشرح على كتاب الإيمان وبالله التوفيق، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِإِتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِجَاهِ عِنْدَكَ، هنا انتهى ورقة 7.